سـردیـات

مجلة علمية فصلية محكمة
العدد الثاني والثلاثون (أبريل - مايو – يونية) ٢٠١٩م

تصدرها الجمعية المصرية للدراسات السردية

ومقرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة قناة السويس – الإسماعيلية

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
أ.د. عبد الرحيم الكردي

نائب رئيس مجلس الإدارة
أ.د.أحمد عوين

نائب رئيس التحرير
أ.د.عبدالحفيظ حسن

المحررون:

أ.د.حسن عبدالعليم يوسف
أ.د. صالح عطية مطر
أ.د. محمود إبراهيم الضبع
أ.د. أحمد محمد عطا

الناشر
الجمعية المصرية للدراسات السردية
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة قناة السويس – الإسماعيلية

ظاهرة الاغتراب في شعر محمد عبد الله الخولي قصيدة" حكاية الشعر أنموذجا"

ربيحة بلحاج

طالبة الدكتوراه (السنة الثالثة أدب عربي)

تحت إشراف ومتابعة الدكتور: الشيخ كبير

المركز الجامعي "بلحاج بوشعيب" عين تموشنت، الجزائر

الملخّص:

يحاول هذا البحث تسليط الضّوء على ظاهرة الاغتراب، والّتي هي ظاهرة نفسيّة عاينتها النّفس البشريّة منذ أوّل وطأة لها على أديم الأرض، و هي الوحدة النّفسيّة الّتي تصيب الإنسان بسبب الصّراعات القائمة بين محيطه و ذاته، و ليس الأديب بمنأى عنها، والشّاعر أكثر النّاس تأثّرا ، لذلك تعكس قصائده عدم الرضى والشّعور بعدم الانتماء والرغبة في العزلة و الابتعاد.

والشّاعر المصري محمد عبد الله الخولي عاش ردحا من الزّمان غربة المكان ، ثمّ عاد إلى وطنه ليعيش اغترابا نفسيّا ، نتاج ظروف مختلفة، فصار شعره صدى صرخات إنسان العصر والصّوفيّ بوجه أخصّ، الذي يعيش الاغترابات بأشكالها المختلفة ، الذّاتي، الوجداني، عن الوطن(مكاني)، روحيّ...

الكلمات المفتاحيّة:

محمد عبد الله الخولي، اغتراب، غربة، الذّاتي، الوجداني، الوطن(مكانيّ)، روحيّ.

تمهيد:

تتجلّى ظاهرة الاغتراب بقوة في حياة الناس اليومية، ويعتبر موضوعا واسع الطّرح، إذ يفضي إلى تساؤلات عدّة على رأسها المعاني المختلفة التي يوحي بها هذا المُصطلح ، فالباحث في مساراته اللّغوية و المعجمية والاصطلاحيّة يكتشف أنّه معلم عريق في مختلف الفنون الأدبية والفلسفية ، زيادة على علمي النفس والاجتماع ، لتمايز التعاريف في تلك العلوم المذكورة آنفا ، يصعُب إيجاد تعريف مشترك له بينها، ففي اللغة وحدها تتعدد معاني اللفظ الواحد، ولأن مصطلح "الاغتراب" عرف رواجا في الأدب الغربي الحديث والمعاصر.

الغاية القصوى للنّفس البشريّة هي البحث عن الاستقرار والأمن، إلّا أنّها في مراحل كثيرة تفقدهما بسبب أو آخر، فتعيش الغربة أو الاغتراب أو كليهما مجتمعين، أمّا الغربة فمكانية، في حين الاغتراب ظاهرة نفسيّة، فقدت المعنى الإيجابي لها، وبقي التركيز على المعنى السلبيّ، الذي يتّخذ من النّفس البشرية محورا لدراسته، على عدّ الاغتراب فقدان الوحدة النفسية لذات المرء مع نفسه ومن ثمّ مع من وما حوله، فتتخذ لذاتها عالما جديدا منعزلا تعبّر فيه عن فقدان الحريّة، والاستئصال والاستنزاف.

قام جلّ الأدب العربي والشّعر بالخصوص على غرض إنسانيّ واسع ، وهو الترابط بين الأديب وواقعه السياسي والثقافي والاجتماعي وخصوصا الروحيّ، وأيضا الشعور بالغربة التي يعقبها الحنين، ففكرة الغربة والتمرّد، والإحساس بالتمزق والضياع لم تكن بعيدة عن فكر الإنسان ومشاعره على مرّ العصور.

قبل معالجة ظاهرة الاغتراب في شعر محمد الخولي ، لا بد من إشارة إلى هذه الظاهرة عربيا وغربيا، أمّا في العصر الحديث فقد بدأ العالم العربي في الانفتاح على العالم الغربي ، بفعل الاحتكاك ببلدان الاحتلال ، كما حدث بعد

حملة نابليون بونابرت على مصر، حيث بدأت البعثات العلميّة، والإرساليات والهجرات إلى تلك البلدان، لأجل الاستفادة ممّا توصّلوا إليه من جديد في مختلف الميادين ، ثقافية ، علميّة ، اقتصادية، حتّى الأدبيّة ....

وخاصّة الأدباء والشّعراء فقد تجلّى ذلك في كتاباتهم الأدبيّة ، كما حدث مع شعراء وأدباء المهجر والرابطة العلميّة، حيث بدا تأثرهم جليّا بأدباء و شعراء الغرب، خاصّة حين خاضوا في ظاهرة الاغتراب "**فقد تأثّروا إلى حدّ كبير بالأدب الرّومنسي الأمريكي وخاصّة ديوان "أوراق العشب" theleaves of grass**" "**لويت ليتمان "وقد قلّد المهاجرون هذا الشّاعر الأمريكيّ في كثرة الحديث عن النّفس وتأملاتها وفي الكلام عن الضّمير والوحدة في نزعته الصوفيّة**" [١].

ونتج عن ذلك تأثّر كبير لشعراء المشرق و المغرب العربيين ، إذ ظهر ذلك في أشعارهم وكتاباتهم أمثال "مي زيادة"، "إبراهيم ناجي" ، "محمود طه، "أبو القاسم الشابي" ، "رمضان حمّود"،... وغيرهم من شعراء المدرسّة الرومنسيّة آنذاك.

امتدّت تأثيرات الغرب، من خلال تأسيسهم لظاهرة الاغتراب جليّة في شعر شعراء العرب في الشّعر المعاصر، وما النّزعة الحزينة في أشعارهم إلّا إنعكاس لذلك فهي "**في شعرنا المعاصر ليست إلّا نوعا من التّأثر بالشّاعر الأوربي الحديث الّذي عاين طغيان الحضارة الماديّة على الرّوح الغربي خاصّة في القرن العشرين، ولا يمكننا في الحقيقة أن ننكر التّأثير المباشر وغير المباشر لشعر (ت.س. إليوت)**[٢].

فكر إليوت كان متمرّدا على الحضارة الأوربيّة الماديّة الّتي افقدت الفرد ذاته وانسانيّته ، وقد بدا تأثّر الشّعراء المعاصرين العرب بما شاع لديهم من تبنيهم

[١] أحمد عودة الله الشقيرات، الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب، دار عمّار، عمّان، الأردن،ط١، ١٩٨٧ص٤٣

[٢] عز الدين اسماعيل، الشّعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية،دار الفكر العربي،بيروت، لبنان، ط٣،ص٣٥٤

لفكرته التشاؤميّة المندّدة بتهميش النّفس البشريّة من خلال كتابيه " الأرض الخراب" و"الرّجال الجوف" وهي عبارة عن تماثيل جوفاء مليئة بالقشّ، (رمزيّة للإنسان الأوربي الذي همّشته الحضارة الصّناعيّة الماديّة) .

أمّا المدرسة الواقعية الحديثة فقد تأثّر شعراؤها بظاهرة الاغتراب، بسبب الاحتلال والقهر، الفقر وظلم الأنظمة السياسة له في ذلك الزمان، فاشتهر بتلك النزعة شعراء من مختلف البلاد العربيّة أمثال: محمد الفيتوري من السودان، محمّد الماغوط وصلاح عبد الصبور من مصر، ومن العراق البياتي وغيرهم، وذلك التأثر المغترب السامان الذي يحبس بعبث الحياة وعقم التكرار الرتيب، وضياع ذاته وفرديته في مواجهة قوى لا قبل له بمواجهتها.

ولم يكن الشّعراء هم الفئة الوحيدة الّتي تأثرت بأفكار إليوت في الاغتراب، بل كتّاب القصص والروايات أيضا أمثال نجيب محفوظ في روايته "شارع الزقازيق" ومرزاق بقطاش في "موسم الهجرة إلى الشّمال"، .... وغيرهم، عاكسين صوّر البشر الذين يعانون القهر والفقر والاحتلال في أوطانهم.

يعدّ التّصوف الأرض الخصبة التي وجد فيها الاغتراب سبيلا للنمّو والحياة، فنظروا إلى قصّة خروج الإنسان من الجنّة، لاعتبارهم ذلك تجربة وجدانية ووجوديّة، وهي عندهم أول اغتراب لآدم وهذا ما أشار إليه ابن عربي في قوله: "**إنّ أوّل غربة اغتربناها وجودا حسيّا عن وطننا غربتنا عن وطن القبضة عند الإشهاد بالربوبيّة لله علينا، ثم عمرنا بطون الأمهات فكانت الأرحام وطننا فاغتربنا عنها بالولادة**"[١].

وغربة الجسد والرّوح عن موطنهما الأصلي (الجنّة) هو الغربة الأولى في حياة آدم عليه السّلام، بعد غربة لا مثيل لها لانفصال الخلق عن الخالق بسبب العصيان، ثمّ انفصاله عن رحم أمّه.

[١] محي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، تح: عثمان يحيى، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٦ ، د.ط ، ص٥٧٦.

يتمسّك الصوفيّة بحديث الرّسول صلّى الله عليه وسلم "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ" (رواه مسلم)، سبق الإشارة إليه في صفحة سابقة ، وقد علق ابن عطاء الله السكندري على هذا الحديث بقوله " **فاعلم أنّ الغربة المذكورة في الحديث معناها قلّة من يعين على القيام بالحق، فيكون القائم به غريبا لفقدان المساعد وعدم المعارضة، فلا ينهض القائم حينئذ إلّا قوة إيمانه ، ووفور إيقانه فكذلك قال صلى الله عليه :بدأ الدين غريبا و سيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء، يرى صلى الله عليه وسلم أنّهم قاموا بأمر الله في بلاده وعباده حيث تقاعدت همم النّاس عن القيام به** "[١].

حين يتقاعس المسلمون عن نصرة دينهم بإقامة شرع الله وتحكيم سنّة نبيّه – صلى الله عليه وسلم – يصبح الدّين غريبا .

– ملامح الاغتراب في شعر محمد الخولي:

الغربة مكانية، في حين الاغتراب ظاهرة نفسيّة، فقدت المعنى الإيجابي لها، وبقي التركيز على المعنى السلبيّ، الذي يتّخذ من النّفس البشرية محورا لدراسته، على عدّ الاغتراب فقدان الوحدة النفسية لذات المرء مع نفسه ومن ثمّ مع من وما حوله، فتتخذ لذاتها عالما جديدا منعزلا تعبّر فيه عن فقدان الحريّة، والاستئصال والاستنزاف.

من الحقائق المؤكّدة أنّ جلّ الأدب العربي ومنه الشعر بالخصوص قام على غرض إنساني واسع، وهو الترابط بين الأديب وواقعه السياسي والثقافي والاجتماعي وخصوصا الروحيّ ، وأيضا الشعور بالغربة التي يعقبها الحنين، ففكرة الغربة والتمرّد، والإحساس بالتمزق والضياع لم تكن بعيدة عن فكرة الإنسان ومشاعره على مرّ العصور.

[١] تاج الدين ابن عطاء الله ، لطائف المنن ، في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي و شيخه الشاذلي أبي الحسن ، تح : عبد الحليم محمود ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م ، ص ١٥٧.

أبرز ما يميّز التجربة الشعريّة عند الشّاعر "محمد عبد الله الخولي" أنّها تغص بالمعاناة والاغتراب وحرقة الألم، غربة الشاعر الحقيقيّة هي غربة الزمن وليست غربة عن الوطن في حدّ ذاته، وهذا ما دفعه إلى الانعزال والميل إلى الابتعاد هربا

الوحدة النفسيّة :

يشعر بها الإنسان حين يكون وحيدا بعيدا عن مختلف العلاقات الاجتماعيّة ، وهذا الشّعور خبرة أليمة وشاقّة ومريرة على النّفس البشريّة ، وذلك "**الشعور بالوحدة النفسيّة هو ظاهرة معقّدة وسببها النتائج العاطفيّة السلبيّة ، كما تنتج من ألم الانفصال ، وغياب أشكال المودّة** " [١]

- **الغربة في الإسلام ثلاث وهي :**

١- **النوع الأول:** غربة أهل الله و أهل سنة رسوله بين الخلق ، وهي الغربة التي مدح رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أهلها [٢]، وغربتهم هي أنس بالله حين وجدوا الوحشة بين النّاس ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**بدأ الإسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء**" [٣]

٢-**النّوع الثاني** : غربة من خالف شرع الله ، وقاد عن الحقّ وهم العصاة والفجّار، والفسّاق ، ورغم كثرة أشياعهم وأعوانهم فهم غرباء بين أهل السّنّة والحقّ .

[١] حامد عبد السّلام زهران، الصّحة النفسيّة والعلاج النفسيّ، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧، ص٢٧.

[٢] ابن القيم الجوزية ، الغربة و الغرباء ، مكتبة طبرية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٢ ، ط١ ، د.ت ، ص١٠

[٣] أبو الحسن ، مسلم بن الحجّاج القشيري ، النايسابوري ، صحيح مسلم ، دار المغني ، الرياض ، المملكة العربية السعوديّة ، ١٩٩٨ ،ط١ ،د.ت، ص٨٨.

٣-النّوع الثالث: غربة عن المنشأ والأرض التي ولد فيها المرء وترعرع وانتمى إليها، إنّها الغربة عن الوطن، أو الغربة في الوطن ، فهو غريب عنه بالهجرة، وغريب فيه بالظلم و الحرمان .

والشّاعر محمّد الخولي ، شاعر عربي صوفي معاصر، عاش وعايش كل الظروف السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصادية التّي عرفها الوطن العربيّ فانعكست على شعره ملامح الاغتراب والضياع ، مثل معاصريه من الشّعراء الذّين عاينوا الأحوال نفسها .

تغلب على شعره ملامح الاغتراب ذي النّغمة الحزينة، فشعوره بالغربة والضياع يمثل الاغتراب الوجودي، ذلك الصراع تتجابه فيه ذات الشّاعر مع وجودها "**إنّ محور الشّعور بالغربة والضياع، هو في الحقيقة تفريغ عن المحور الأساسي العام، محور الذات والوجود**" [١] .

الذّات البشريّة تتأثّر سلبا وايجابا بمايحدث حولها، فتجدها تسعى بكل السبل لاظهار ذلك الانفعال لتأثّرها به سلبا أو إيجابا ، فتنتجه شعرا او نثرا أو أفعالا.

وصوّرها الشاعر شفاء مغترب بعد عناء في قصيدته الجنيّ والحلّاج من خلال حوار المكاشفة مع اللّامرئي، متجاوزا بذلك المألوف لدى الإنسان العادي .

أنَا يا أَيُّهَا الجنيُّ مصلوبٌ بِمَعْرِفَتِي
وعلمي ما به زيغ تجلَّى عن مكاشَفَتِي
أَرَى غَيْبًا بِلَا عَيْنٍ فَعَيْنُ القُدْسِ أجْنحَتِي
أصبَحَ في بحَارِ النُّورِ مشدوهًا بخاطِرَتِي [٢].

[١] عزّ الدّين إسماعيل ، الشّعر العربي المعاصر ، ٣٥٦– ٣٥٧.

[٢] محمد عبد الله الخولي، الجنيّ و الحلّاج، دار الشّروق، القاهرة، مصر،٢٠١٣، ط١ ،١٩١٣، ص٥٧.

يلتقط محمد الخولي شخصية "الحلاج" ليسقط عليها ذاته، الحلّاج، الحسين بن منصور هذه الشخصيّة المسلمّة المتصوّفة، يستعملها قناعا يحاول من خلاله أن يستقرئ عصرين اختلف زمانا ومكانا، زمن الحلّاج المليء بالاضطرابات والحروب والفتن، وزمن الشاعر ذاته غصّ بآلام عدم الاستقرار في الحياة، المجتمع، الفكر، وشكل منها توليفة جذورها قديمة ليبعثها على حال جديدة يلائم عصر الشاعر نفسه، وهذا الوجه هو أوّل المكاشفة مع الجنيّ الذي يمثل العالم اللاّمرئي ، عالم الخفّة و التّمويه والغربة والشرود ، والتحايل والمكايدة .

يحاول الشاعر من خلال صوت الحلّاج أن يعبّر عن جفاف الحياة العصريّة، وانقلاب موازين الحياة ،بنظرة فارقة تتجلّى من خلالها صورة الاضطراب النفسي (لملمني ، بعثرني ، جمعني ، فرّقني ، أحياني ، أفناني ...) .

عندما تعجز الذات عن تحقيق تطلعاتها وآمالها في محيطها الضيّق في عالم البشر، ترتقي إلى عالم الغيب باحثة عن نفس اغتربت ببين بني جنسها، لتصل إلى مرحلة تنصّل الرّوح من الجسد، وتعيش في عالم روحي لا مرئي لا متناه، وهذا ما رنا إليه في " **وحي ليس قرآنا** " من ديوان تراتيل على الخشب المقدّس .

أَنَا والرُّوحُ بَعْدَ حَوَاجِزِ البَرْزَخْ
سُجُودُ القَلَبِ
تَسْحَبُ
كُلَّ أَوْرِدَتِي
وَيَغْسِلُهَا بنُورِ اللهِ
في فردوسِ حضرتِهِ
أَرَانِي بَلْ

أَرَى ذَاتِي
تُحِيطُ بعَالَمٍ أَكْبَر [١]

إذن فالرّوح أقبلت على عالم أكثر رحابة، لا وحشة فيه ، لأنّه الأنس بالله في عالم لا محدود ، والتخلّص من الضياع و الوحدة التي عاينها بين أمثاله من البشر، فاجتازت عالم البرزخ إلى عوالم علويّة هي الغيب المطلق، هذا الإطار الخارجي هو بمثابة المدخل إلى عالم الرّوح .

أمّا الاغتراب عن الوطن، فهو لا يعني عند المتصوّفة مغادرة الوطن فحسب، بل هو اغتراب فكري بسبب تقاليد لا ينسجم معها، أو نتيجة رفض لأوضاع خالفت طبيعته ورآها تسيطر على ما حوله، " **إنّ النّوابت هم من لم يجتمع على رأيهم أمّة أو مدينة و هؤلاءهم هم الذين يعنيهم الصوفية بقولهم الغرباء، لأنّهم وإن كانوا في أوطانهم وبين أقرانهم و جيرانهم غرباء في آرائهم، فقد سافروا بأفكارهم إلى مراتب أخرى هي لهم كلّ الاوطان**" [٢].

من خلال قول ابن باجة (ت ١١٣٨)، يتّضح أنّ النوابت ما هم إلّا فئة من النّاس ثاروا ضد واقع لم يلائم طباعهم، وحاولوا تغيير أشكال من المعاملات والعادات الموروثة محدثين صدمة للواقع ، فحقّ تسميتهم " بأغرب الغرباء "

يعبّر الشاعر عن اغترابه عن وطنه في قصيدة " سأهرب الآن "

ظلّي عَلَى الأَرْضِ مَرهُونٌ
وقافيتي
كَنوْرَسٍ فِي ظِلال الرّوحِ يَنْطَلِقُ
مُهَاجِرًا كُنْتُ رَحَّالًا و مُغْتَرِبًا

[١] محمد الخولي، تراتيل على الخشب المقدس، روائع للنشر والتوزيع، مصر، ط١، يناير٢٠١٥، ص٢٢.
[٢] ابن باجة ، رسائل ابن باجة الإلهية ، تح : ماجد فخري ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٤٣.

تَقتَاتُ مِن غُرْبَتِي
الأَيَّامُ و القَلَقُ
أجرُّ ذَاتِي عَلَى الأَوْجَاعِ متّكأً.[١]

الذي يحيا بظله أشبه ما يكون بالوهم ، لأنّ الظل هو صورة منعكسة عن الحياة الزّائفة التّي يحياها الإنسان بسبب الهوّة التي تحول بينه وبين أحلامه، وتمنعه من تحقيق ذاته، محاصرا بهواجس البعد والفرقة ، فقد تحوّل كل شيء إلى مرارة محزنة ، وأوجاع مؤلمة، وتحوّل الشعور بألم الغربة وجعا دائما يسجن ذات الشاعر في بؤرته .

تعد ثنائية الرّيف والمدينة، ضديّة، فالرّيف لدى الصوفيّ هو الأصل الأنقى، وموطن ذكريات الطفولة، والأسبق وجودا وملجأ للرّاحة النفسيّة ، لتفريغ المكبوتات، أمّا المدينة فهي الفضاء الذي يخلق لهم الشعور بالتّعب والضّياع ومصدر الضجيج والفوضى .

في حين رأي ابن خلدون بعكس ذلك تماما "**الإنسان مدنيّ بالطبع أي لا بدّ له من الإجتماع الذّي هو المدينة في اصطلاحهم و هو معنى العمران**"[٢]، وفي هذا الكلام موافقة لنفسيّة المولّودين أصلا في المدن أو للنّاس النازحين إليها رغبة في التحضّر وتحصيل الماديّات عن قرب.

أمّا الشّاعر محمد الخولي فجمع الرأيين فيها، أحيانا نجده يذمّها نقمة عليها بما تمثله من صوّر قاتمة تحمل في طيّاتها المعاناة، والاغتراب والكره ، فيصبّ عليها كلّ سخطه فيهجوها ويهاجمها ، كما في قصيدة "أحلام النّوارس"

البَرْدُ يَغْتَالُ البَرَاءَةَ

[١] محمد الخولي ، " من أحاديث القمر " ، ص ٢٩.

[٢] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط٩، ٢٠٠٦، ص٢٧.

فِي جَبِينِ الوَرْدِ
فِي قَلْبِ المَدِينةِ
لَا أرى
غير الضّياع [١].

تبدو المدينة حسب المقطع الوارد، مرتعا للجوع والتشرّد للأطفال بسبب الظروف القاسيّة، فبدت المدينة بجوّها التعيس الذي يولّده عدم التّوازن النفسيّ، فهي تبدو قبيحة الوجه تمارس على اهلها الظلم والغبن والحرمان، خاصّة الأطفال منهم بما أحدثته لهم من اغتراب نفسيّ .

ويصوّر المدينة أحيانا أخرى بصورة مشرقة، إنها صورة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومهاجره، وهي ثاني أقدس عاصمة دينيّة للمسلمين، فهي رمز الشّرف والسكينة ومهوى الوحي والرحاب اللتّي تضمّ الجسد الشّريف للنبيّ صلى الله عليه وسلم.

يَا زَهْرَةَ اللَّوْزِ استَدِيرِي خَلْفَهُ فَالوَرْدُ يَشْرُبُ من رحيقِ محمَّدِ
تَمُرُّ المَدِينَةُ و الشّفاء كلاَهُمَا سرُّ النُبُوَّة و احْتمَالُ مُجاهِدِ
لَوْلَاكَ ما سَجَدَ الملائِكُ خُشَعًا لأَبِيكَ فِي غَيْبِ الشهُودِ العَائِدِ [٢]

وهذا النّوع من الاغتراب بنوعيه عاشه محمّد الخولي، بل عاينته روحه الشّفافة التي ترنّحت يمينا وشمالا ، ألما وحنينا قلقا ووجعا :

مهاجرا كنت رحّالا ومغتربا
تقتات من غربتي
الأيّام والقلق
أجرّ ذاتي

[١] محمد الخولي ، تراتيل على الخشب المقدّس ، مصدر سابق ، ص ٣١.
[٢] محمد الخولي ، تراتيل على الخشب المقدّس ، مصدر سابق ، ص ٤٤.

على الأوجاع متّكئا[١]

قضى الشّاعر أربع عشرة سنة من عمره في ديار الغربة (الشارقة بالإمارات العربيّة المتحدّة)، عمل خلالها بالتّدريس بعيدا عن الوطن والأهل والخلّان، لكنّه ظل بارّا وفيا للأمّ الأصل الوطن.

مسّطر في كتاب الرّوح أعشقها
مرارها الشّهد
في أحضانها أثق
أنا النبيّ الّذي قدت عبادته
ولم يزل
من ربى نهديك ينشق[٢] .

المدينة دهليز الغربة والاغتراب حاضرة في شعر محمد الخولي، ذلك الفضاء الذي لا يحبّ الصوفيّ أن يأوي إليه لانغلاقه وضوضائه، حيث تتعسّر المناجاة فيه، ويبدو أنّ الشّاعر يجنح دائما إلى الشعور بالأسى والجراح ، وأقسى ما يعانيه الاغتراب الرّوحي، الوارد رموزا في مدى مكابدة الوجد، يتجسّد في قصيدة "**لون من اللّاشيء**"

لون من اللّاشيء
يفرض نفسه ظلّا يخيّم
فوق جدران المدينة
واغتراب للمسافر [٣]

[١] محمد الخولي ، من أحاديث القمر ، ص ٣٣.
[٢] نفسه ، ص١١٧.
[٣] محمد الخولي ، من أحاديث القمر ، ص٣٠.

إلى أن يقول في وصف حال المدينة التي استحالت مسرحا لضياع الذّات الفاقدة لدفء الأمن المغيّب، والسّلام المنشود :

البرد يغتال المدينة كلّها
لا دفء يسري في أناملها الّتي كانت
تهدهد خاطرك المنهوك ...
بحثا عن حكاياه الّتي كانت تدقّ نوافذ الأمل
الّتي كانت تصغي لصوت العندليب ، وأغنّيات النّصر[١]

وتبقى المدينة ذلك الفضاء، الذي لا يحبّ الصوفيّ أن يأوي إليه لانغلاقه وضوضائه، حيث تتعسّر المناجاة فيه، دهليز الغربة والاغتراب حاضرة في شعر محمد الخولي، ويبدو أنّ الشّاعر يجنح دائما إلى الشعور بالأسى والجراح، وأقسى ما يعانيه الاغتراب الرّوحي، الوارد رموزا في مدى مكابدة الوجد، يتجسّد في قصيدة " **لون من اللّاشيء**":

لون من اللّاشيء
يفرض نفسه ظلّا يخيّم
فوق جدران المدينة
واغتراب للمسافر [٢]

إلى أن يقول في وصف حال المدينة التي استحالت مسرحا لضياع الذّات الفاقدة لدفء الأمن المغيّب ، والسّلام المنشود :

البرد يغتال المدينة كلّها
لا دفء يسري في أناملها الّتي كانت

[١] نفسه ، ص١١٩.
[٢] محمد الخولي ، من أحاديث القمر ، ص٣٠.

تهدهد خاطرك المنهوك ...
بحثا عن حكاياه الّتي كانت تدقّ نوافذ الأمل
الّتي كانت تصغي لصوت العندليب ، وأغنيات النّصر[١]

يصوّر الشاعر المدينة فضاء تحوّل من بهجة لقاصدها إلى لون باهت يسري حزنا في نفسه، وبدّلها من حضن حان إلى بؤرة تتشكل من الهموم والآلام، فاستحالت إلى طلاسم من التوجّس.

كما احتفى الشّاعر بالوطن في عديد القصائد منها في قصيدة "**مشانق الأنبياء**" إشارة إلى "**مصر**" الأرض الطيبّة ، تلك الّتي عاش فيها الأنبياء وعاشوا الغربة المكانيّة والاغتراب النّفسيّ، يوسف الصّديق، وموسى الكليم، عليهما السّلام، وأمّا يوسف فسيق إليها غلاما يباع في سوق النّخاسة، وأمّا موسى فصبيّ لبني إسرائي المضطهدين من طرف فرعون، وتدور دوائر الزمان ليصبح يوسف عليه السّلام عزيز مصر، وموسى عليه السّلام مهلك فرعون الّذي حمله إليه التابوت غلاما زكيا تربّى في كنفه ليكون له عدوّا وسببا في زوال ملكه.

هذي المشانق
للنبيّ ومن معه
للصّادقين وللجياع[٢].

من أكبر دلالات الاغتراب النفسيّ حبّ العزلة، و يتجسّد هذا في قصيدته "**سأهرب**" :

سَأَهْرُبُ الآنَ
سَأَهْرُبُ الآنَ

[١] نفسه ، ص١١٩.
[٢] نفسه ، ص٧٩

مِنْ عينيْكَ يا وَطَني
إلى فضاءٍ به
الإنسانُ يأتَلِقُ
وأَسْكُبُ الرُّوحَ
في بِلَّوْرِ زَنْبَقَةٍ[١]

ظاهرة الاغتراب في قصيدة "حكاية الشعر" (من ديوان تراتيل على الخشب المقدّس):

الشّعر ذلك الشّعور المرهف الّذي تلهم به النفوس الرقيقة، والأرواح المتألّقة، لذا نجد الشّاعر أكثر النّاس تأثرا سلبا وإيجابا بمحيطه وبمن حوله، فنجد النّصوص الشعريّة للصوفيّة ترتبط ارتباطا وثيقا بالحالات النفسيّة التّي تدفعهم للنظم، فيحصل ارتباط بين الاغتراب والإبداع ، وليس اغترابه من النّوع العصابي السلبي فقط، بل يتعدّاه إلى الاغتراب الإيجابي، لذلك يعبّر الصوفي عن لواعج نفسه عن طريق الشّعر بوصفه وسيلة للخلاص من اغترابه ومن زفرات الحيرة والقلق التي يتأجّج أوارها بداخله، متجاوزا حدّة الاغتراب بالنّهل من تراثه الدّاخلي، والاغتراف من اللّاشعور مستعينا بخياله الطفولي الذي يضفي على إبداعاته صوّرا من الجمال والذّوق الرّفيع.

الصوفيّ ليس مغتربا بفكره فقط، إنّما هو مغترب المصطلحات واللّغة أيضا والأسلوب(الإيحاءات والرّموز)، لذلك لا يهتم كثيرا بمدى إعجاب المتلّقين بنصوصه، ولا يزول اغترابه بذلك، لأنّ العامّة من المتلقين لا يمتلكون شفرات تلك الايحاءات والرّموز وما تنوء به من حمولة لغويّة ومعرفيّة، ولا يفهمون مقصده.

[١] محمد الخولي ، من أحاديث القمر ، ص٢٩.

في نظم محمّد الخولي لقصيدة "حكاية الشّعر تجلى عليها فيض من الاغترابات المختلفة الّتي أثقلتها، من ذاتي، وجداني، اغتراب عن الوطن، اغتراب وجودي ...

أوّلا : الاغتراب الذاتي :

تطغى الوحدة النفسيّة على الشاعر، فغدا مغتربا عن نفسه ذاتها، لجأ إلى عالم الشّعر والأشعار ليفرغ فيها شحنا سلبيّة ظلّت ترهقه، وهذا ما يطلق عليه الاغتراب الذّاتي الذي " **هو عدم قدرة الفرد على التّواصل مع نفسه، وشعوره بالانفصال عنها وعمّا يرغب فيه**"[١].

أَبُوحُ بالسّير للأَشْعَارِ تَحْتَرِقُ و تَهْتِكُ السِترَّ عن قلبي فأختنقُ
وتَسْكُبُ الحُلْمَ آيات مُعطَّرَةٍ عَلَى كياني إذا ما انْتَابَهُ الأَرَقُ[٢].

يستهلّ الشّاعر قصيدته في تجسيد للأشعار في خطاب تتشكل من خلاله محاولة اختراق اللّامعقول عبر خليليّة رسمها الشاعر للشّعر من مخياله حتّى استدعاه لأجل البوح بما يخالج ذاته المغتربة من وجد ، إنّه عبثيّة فلسفة الأخذ والرّد ، إذ التفتت إليه الأشعار لتعمّق الهوة و تزيده ألما، **(أَبُوحُ بالسّير للأَشْعَارِ تَحْتَرِفُ)** ليقابلها **(و تَهْتِكُ السِترَّ عن قلبي فأختنقُ)** ، ثم تؤول سلطة النّص إليها **(الأشعار)** فتتحوّل من ألم إلى أمل **(و تَسْكُبُ الحُلْمَ آيات مُعَطَّرَةٍ / عَلَى كياني إذا ما انْتَابَهُ الأَرَقُ)**، فتتولّد صورة جديدة جميلة من ذات ضيعتها الحياة بين الأنا (البوح) والآخر (الأشعار) أي (المنعكس).

[١] كريمة يونسي ، الإغتراب النّفسي و علاقته بالتكيف الأكاديمي ، لدى طلّاب الجامعة:دراسة ميدانيّة على عيّنة طلّاب جامعة مولود معمري بتيزي وزو، ٢٠١٢، الجزائر، (مخطوط ماجستير)، كلية الاداب و العلوم الإنسانيّة، ص٤٣.

[٢] محمد الخولي ، تراتيل على الخشب المقدّس ، ص ٥١

كما يعني الاغتراب عن الذّات انفصال الفرد عن ذاته الحقيقيّة الّتي يشعر بها ، فيصطنع لنفسه ذاتا أخرى زائفة ، وذلك بفعل تأثير المجتمع وضغوطاته ، المتمثلة في الأعراف والتّقاليد والنّظم ، وتناقضات هذا المجتمع وهذا يؤدّي إلى طمس الذّات الحقيقيّة ، أي كما يحسّ بها وكما يريد لها أن تكون.

حَرْفُ البَيَانَ الّذِي بالجَمْرِ أُشْعِلُهُ يَجْتَاُح قَلْبِي إِذَا غَنَّى بِهِ الورقُ
مَا أَعْذَبَ الحَرْفُ إِنْ سُلِبَتْ حَقِيقَتُهُ ورَاقَصَ النَّجْمَ لمّا أَجْهَضَ الشَّفَقُ [١]

يتنصّل محمد الخولي من ذاته (الإنسان)، هروبا إلى ذات الشّاعر الذي يحيل المشاعر المتأجّجة في عالم الاغتراب **(حَرْفُ البَيَانَ الّذِي بالجَمْرِ أُشْعِلُهُ يَجْتَاُح قَلْبِي إِذَا غَنَّى بِهِ الورقُ)** إلى أشعارسطّرها شعرا، يصبح فيه هو المرسل والمتلقيّ في آن واحد، أميل ما يكون إلى الرمزيّة أقرب، حيث يستحيل الحرف ذاته الذي رسمت به الأشعار مغتربا في آفاق نفسّية الشاعر المضطرمة.

ثانيا : اغتراب وجداني :

شاعت في أوساط الشّعراء منذ عهد ما قبل الإسلام ، مقولة الشّاعر العبقري (نسبة إلى وادي عبقر) ، حيث كان الشّعراء يخلون إلى شياطينهم فيلهمونهم قرض الشّعر، وما زالت تلك القضيّة محلّ الدّراسة والتحليل، إنّما في هذه القصيدة (تراتيل على الخشب المقدس) هي قبس من نورانية الشّاعر المغترب بتقويضه النّص المألوف:

حكايةُ الشِّعْرِ جِنِيٌّ يحدّثني مَحْضَ افْتراء بِهِ قَدْ نَدَّد الأُفُقُ
حَقِيقَةُ الشِّعْرِ محرابٌ و مسْبَحَةٌ وقِبْلَةٌ مِنْ عَقِيقِ الوَرْدِ تَسْتَبِقُ[٢].

[١] محمد الخولي ، تراتيل على الخشب المقدّس ، ص ٥١.
[٢] محمد الخولي ، تراتيل على الخشب المقدّس ، ص٥٢ .

فيخرج به إلى عالم اللّامألوف اللّامرئي (الجنيّ) رمز الخفّة والتحايل والافتراء **(حكايةُ الشِّعْرِ جِنِيٌّ يحدّثني مَحْضَ افْتراء بهِ قَدْ نَدَّد الأُفُقُ)** وبلجوئه إلى الرّمز "**بطريقة ما فهو يستولد المجهول باحثا عن ماهيات الأشياء في بواطن الأشياء ، يبحث عن الماهية والكينونة التي يصعب الوصول إليها من خلال الشّروط السفلى الّتي لا تحترم سموّ الأهداف وعلوّها**"، لذلك يلجأ إلى عوالم خفيّة اغترابا فرضته الحقيقة المنفّرة، ثم تستحيل الصورة الغيبيّة (الجنيّ)، إلى حقيقة مقدّسة تتنفّس من خلالها الوهميّة عن الشعر (النّص المسّطر)، بانتقاله إلى مركزية تأسيس جديدة هي حقيقة أنّه إلهام رباني، ومنحة هداية تجسدت في شكل اغتراب وجداني.

حَقِيقَةُ الشِّعْرِ محرابٌ و مسْبَحَةٌ وقِبْلَةٌ مِنْ عَقِيقِ الوَرْدِ تَسْتَبِقُ
أَنْفَاسُ شِعْرِي تَرَاتِيلٌ مُقَدَّسَةٌ تَسْرِي مُعَطَّرَة و الفَجْرُ يَأتَلِقُ
هَمْسُ البَيَانِ تَجَلَّى بَيْنَ أوْرِدَتِي واخْضَرَّ حَرْفِي بتَرْنِيم له أَلَقُ[1].

ثالثا : الاغتراب عن الوطن(اغتراب مكاني):

الشّعور الموجع والمخيف هو حين يصير الفرد مغتربا عن وطنه سواء برحيله عنه أو بوجوده فيه، فيحاول من خلال إبداعه قتل الإغتراب واسترداد بعض حقوقه المسلوبة ولو أنه سيقع بين جدلتين كبيرتين هما: تحقيق حريته مجرّد محاولة أوقفته على واقع مرّ كائن، وعالم مثالي يستحيل تحقيقه بسبب موانع مختلفة .

مِرْآة ذاتي فُيُوضُ مِنْ مَشَارِبِهَا أَرَى بِهَا وَطَنًا يَجْتَاحَهُ القَلَقُ [2]

[1] محمد الخولي ، تراتيل على الخشب المقدس ، ص٥٢.
[2] نفسه ، ص٥٢.

عند الصوفيّة السّفر دائم، لذلك صنّفوا المسافر بفكرة، أو بجسده مغتربا" **وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه، وأبعد البعداء من كان قريبا في محلّ قربه، لأنّ غاية المجهود أن يسل عن الوجود ويغمض عن المشهود ويقصى عن المعهود ... يا ريا رحمتا للغريب طال سفره من غير قدوم، وطال بلاؤه من غير ذنب ... الغريب في الجملة كلّه حرقة، وبعضه فرقة، دليله أسف ... وخوفه وطن**"[١]، اغتراب الذّات داخل الوطن يجعل منها بؤرة لكل أنواع الهواجس السلبيّة، تعكس تشاكلا انغمس الشّاعر من خلاله، حتّى تراءى الوطن.

ذات الشّاعر صورة واحدة، بل روحا واحدة تشبّعت بعقيدة واحدة هي أنّ حب الوطن من الإيمان، فلا انفصال بين الذّات والوطن.

ذاتي كأغنيةٍ بالنّور أنشدُهَا أجترُّهَا وطنًا حينًا فأحترِقُ[٢]

تلبّست ذات الشّاعر الوطن ، فحدث التطابق بينهما ، وخرجت الكلمات ملتهبة، ورغم النّور الذي أسقطه الشّاعر على ذاته، إلّا أنّ كلماته تنزف من جرح عميق، أنّه جرح الفرقة (الإغتراب) والاحتراق بسبب معاناة الوطن، وكأن التناقض والمفارقات هما السّمتان الواضحتان في خلق الشعور بالإغتراب داخل الوطن .

رابعا : اغتراب روحيّ :

كون المرء صوفيّا يعني خوض غمار التّجربة الروحيّة بحثا عن الذّات الإلهيّة في كلّ شيء، في النّفس، في الكون، في القرآن، في مناجاة السّماء بالذكر، وإعمار الأرض بالفكر، وإعمال العقل بالتدّبر، ولسان الشّاعر ترجمان عقله ، وقلبه لسان روحه .

[١] أبو حيان التوحيدي ، الإشارات الإلهيّة ، تج : عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات الكويت ، دار القلم بيروت ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص ٨١.

[٢] محمد الخولي ، تراتيل على الخشب المقدّس ،ص ٥٣.

الرّوحُ أنثرُها قمحاً على جبلٍ تنْمُو بِأَوْرِدَتِي حُبّا فينفَلِقُ
عن جوهَرٍ هتَنَت مِنْ وَحيِهِ سُحُبٌ أَرْوِي بِهَا قَلَمِي طَيْراً فينطلقُ[1]

تحاكي روح الصوفيّ أصل فطرته، فهو دائم العمل بمقتضاها، فنجده هينا في سمته، ليّنا في معاملته، بأسى لحال النّاس المؤلمة، ينتشي لأفراحهم، سهل المسلك، وفي التصوّف سبر لأغوار النّفس، فخلف كل إشارة معنى، ووراء كلّ عبارة إشارة، ولا يدرك كنهها إلّا من طال بحثه، وخلع عنه ثوب الرذيلة.

روح الصوفي منبعها رضا الله ، فهي منه وإليه، وتجربتها لا يعرف كنهها أحد فهي السرّ الإلهي المكنون الذي لا يمكن كشف سرّه، ولا هتك ستره، وكلّ روح إلّا ولها خصوصياتها المميّزة، **(الرّوحُ أنثرُها قمحاً على جبلٍ تنْمُو بِأَوْرِدَتِي حُبّا فينفَلِقُ)**

معركة الرّوح مع العقل (المانع) حين تثور عليه لأنها مغتربة عنه، لأنّها سابقة وهو لاحق ، يقبع العقل في مكان بذاته، في حين الروح منتشرة في الجسد، مسافرة عنه، أحالها الشاعر منبتا للخصب والنمّو في صورة جناس صار الحَبُّ (القمح) حبّا ينتشر ليغمر الآفاق، **عن جوهَرٍ هتَنَت مِنْ وَحيِهِ سُحُبٌ أَرْوِي بِهَا قَلَمِي طَيْراً فينطلقُ**) الرّوح عن العقل وعن الجسد ، انسكبت آيات الله الكونية، ووحيه على تلك الرّوح فغذّتها لتبدع شعرا من وحي الشّعور بالأسرار الإلهيّة .

ليست العبادات (الصّلاة ، الزّكاة ، الصّوم ، الحجّ) في معتقد الصّوفية مجرّد عبادات تؤدّى ظاهريا فحسب، إنّما يتعاملون معها معاملة ذوقيّة مرتكزها التّحقيق، حيث تطهّر القلوب من الآفات النفسيّة (من حسد ، بغض ، أنانيّة ...) و تجلّيها من أدران الذّنوب.

[1] نفسه ، ص ٥٣.

توضَّأتْ صُوَّرِي مِنْ ماء زمزَمِها وطفْتُ مُعْتَمِرًا بالشِّعْرِ أَستبِقُ [١]

طهارة الرّوح المغتربة عن كل ما هو دنيويّ جعلت من الشعور الملهم (الشعر) مركزا تحوم حوله الرّوح تتعبّد من خلاله، حيث صارت بؤرة النّص في تشكّل انزياح تتوضأ فيه الصوّر (العقيدة) بالشعر (الكعبة) استباقا **(وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) الآية ١٣٣ من سورة آل عمران**.مشكلة أفقا جماليا تعبّديا.

للغربة الروحية **التصاق بمفهوم الدّين الّذي يبين أنّ حياه الإنسان فانية وليست خالدة ، لذلك يعيش فيها مغتربا ، منتظرا اليوم الموعود الذي تعود فيه الرّوح إلى عالمها الحقيقي عالم الخلود** [٢]،
خلال تلك الفترة بين الخلود والفناء يعيش الإنسان مغتربا مؤقتا ، ممّا يدفعه للبحث عن حقيقة وجوده من خلال ما يشعر به ، والشّاعر أقدر على ذلك من غيره .

عروسةُ الشِّعْرِ أَمْوَاجٌ بقافِيَتِي وزهرةُ اللَّوْزِ بالشِّرْيَان تنبثقُ

أَطْفُو فتجرفُنِي أَطيافُ مُغتَرِبٍ مادَت سفينَتُهُ فاغتَالَهُ الغَرَقُ [٣]

ينفتح النّص من جديد على اغتراب نفسيّ اجتمع في صورتي بحران ارتطمت أمواجهما ، بحر خضّم هو الحياة بمتناقضاتها ، وبحر الشعر معبّرا عنها بقوافيه مشكّلا توليفة لصورة متفرّدة، (عروسة الشّعر ....) ، يصبح الفرد غريبا عن ذاته في اختلاقه ذاتا جديدة لنفسه مخفيا بذلك ذاته الحقيقيّة، بسبب الضغوطات المتواتية على النّفس التي تريد أن تفرض عليه العادات والتقاليد التي تقيّد من حريته في حين ذاته ترفضها .

---

[١] محمد الخولي ، تراتيل على الخشب المقدّس ،ص ٥٣.

[٢] انظر: أشرف علي دعزوز ، الغربة في الشّعر الأندلسي، عقب سقوط الخلافة ، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٢، ص ص ٢٣-٢٤.

[٣] محمد الخولي ، تراتيل على الخشب المقدس ، ص ٥٤.

يذهب محي بن العربي إلى حدّ القول " **إنّ أوّل غربة اغتربناها الإشهاد بالرّبوبيّة، ثمّ عمرنا بطون الأمهّات ، فكانت الأرحام وطنا، فاغتربنا عنها بالولادة، ....**"[١]

يعتبر الصوفية أنّ أوّل اغتراب للإنسان (آدم عليه السّلام) بانفصاله عن ربه بعد خروجه من الجنّة ، لذلك فقد الأنس وبدأ يبحث عنه من جديد .

أَطْفُو فتجرفُنِي أَطيافُ مُغتَرِبٍ مادَت سفينَتُهُ فاغتَالَهُ الغَرَقُ[٢].

اغتراب وجودي وجداني ، حين يصبح الشّعر (سفينة) تبحر بها روح الشّاعر إلى عالم الغيب اللّامتناهي، لتعرف بين عدم قديم ووجود تكتنفه غربة " **فمن كان وطنه العدم في القديم ، كانت غربته الوجود**"[٣]

رجل التصوّف يرى في وجوده غربة لا تنتهي بالموت بل ما سيحدث اغتراب من شكل آخر من جديد "**إلى أن اغتربنا عنها بالكلية إلى موطن يسمّى البرزخ، فعمرناه مدّة الموت، فكان وطنا ثمّ اغتربنا عنه بالبعث ... فلا يخرج بعد ذلك ولا يغترب**"[٤] .

حسب رأي ابن عربي أنّ حياة الاغتراب تبدأ بانفصال آدم عليه السلام عن ربّه، ولا تنتهي إلّا بالمستقر الأخير إمّا الجنّة أو النّار وهي آخر الأوطان والمستقرّ الأبدي.

بدأ الشّاعر نصّه ببوح وإسرار ليختمه بالتّسليم للموت (القضاء المحتوم)، وقد دأب الصوفيّة على الإكثار من ذكر الموت لأجل تطهير النّفس من المتعلّقات الماديّة، استهّل نصّه باغتراب ذاتي لينهيه باغتراب روحيّ.

---

[١] عبدالحقّ منصف، أبعاد التجربة الصوفية الحبّ، الاتصات لحكاية إفريقيا الشّرق،الدّار البيضاء،المغرب،د ط،٢٠٠٧، ص٥٦.

[٢] محمد الخولي ، تراتيل على الخشب المقدس ، ص ٥٤.

[٣] ابن عربي ، الفتوحات المكيّة ، مرجع سابق ، ص ٤٠٩.

[٤] عبد الحقّ منصف ، أبعاد التجربة الصوفية الحبّ ، مرجع سابق ، ص ٥٦.

أَستلهِمُ الحَرْفَ أَلْوَاحًا على دُسُرٍ أُسابقُ المَوْتَ في عدْوٍ بِهِ الوَشَقُ
رأيتُ ذاتِي كريحانِ بمقبرةٍ وأَحتَوي الموتَ في ذاتي كمن سبقُوا[1].

الفنّ والإبداع الصوفي الجمالي عند محمّد الخولي ليس إلا محاولة للتجاوز لما بعد الموت، إنّها حالة لا وصفيّة تتعدّى المسافة بين الموضوع (الشعر) والذّات (المتنصّلة)، لتصبح صورة انفعالية لا محدودة، تفوق اغتراب الإنسان ذاته عن الكون وصولا إلى مرحلة التفرّد بالحريّة الموت إنّه التسليم المطلق حينما (سابق الموت)، و (احتواها) .

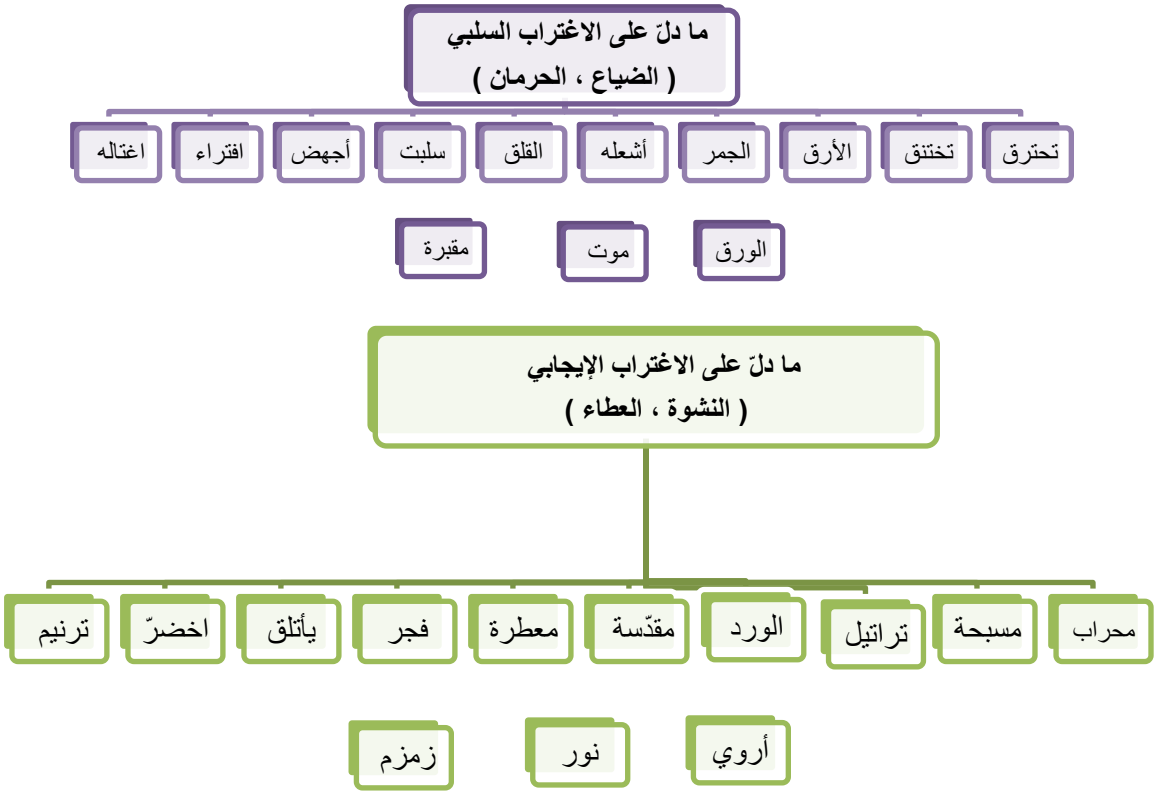

[1] محمد الخولي ، تراتيل على الخشب المقدّس ، ص ٥٤.

خاتمة:

١- الاغتراب ظاهرة نفسيّة عرفتها النّفس البشريّة منذ الأزل بسبب الشّعور بالوحدة النّفسيّة الّتي تعني انفصال الّذات عمّا حولها لعدّة أسباب.

٢- عالج علم النّفس الأدبيّ ظاهرة الاغتراب من الجانب السلبي وأهمل الايجابيّ منه.

٣- من إيجابيات الاغتراب أنّه دافع للإبداع سلبا أو إيجابا.

٤- شعر محمّد الخولي سطّر أنواعا من الاغترابات المختلفة، زاوج فيه بين التّسخّط والتّفاؤل، جسّده من خلال مفارقات عديدة في أشعاره.

٥- قصيدة "حكاية الشّعر" نموذج عمليّ عالجنا من خلالها ألوانا معيّنة من الاغتراب، لكنّها تحوي زخما لا محدودا منه.

الهوامش:

[١]) أحمد عودة الله الشقيرات، الاغتراب في شعر بدر شاكر الشيبان، دار عمّار، عمّان،الأردن، ط١، ١٩٨٧، ص٤٣.

[٢]) عز الدين اسماعيل، الشّعر العربي المعاصر، قضاياه و ظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ص ٣٥٤.

[٣]) محي الدين بن عربي،الفتوحات المكية، تح: عثمان يحيى، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦، د.ط، ص٥٧٦.

[٤]) تاج الدين ابن عطاء الله، لطائف المنن، في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن، تح: عبدالحليم محمود، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٥٧.

[٥]) حامد عبد السّلام زهران، الصّحة النفسيّة و العلاج النفسيّ، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧ ص٢٧

[٦]) ابن القيم الجوزية، الغربة والغرباء، مكتبة طبرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٢، ط١، د.ت، ص١٠

[٧]) أبو الحسن ، مسلم بن الحجّاج القشيري ، النايسابوري ، صحيح مسلم ، دار المغني ، الرياض ، المملكة العربية السعوديّة ، ١٩٩٨ ،ط١ ،د.ت، ص٨٨.

[٨]) عزّ الدّين إسماعيل ، الشّعر العربي المعاصر ، ٣٥٦- ٣٥٧.

[٩]) محمد عبدالله الخولي، الجنيّ والحلّاج، دار الشّروق، القاهرة، مصر، ٢٠١٣، ط١، ١٩١٣، ص٥٧.

١٠) محمد الخولي، تراتيل على الخشب المقدس، روائع للنشر والتوزيع، مصر، ط١، يناير٢٠١٥ص٢٢

[١١]) ابن باجة ، رسائل ابن باجة الإلهية ، تح : ماجد فخري ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٤٣.

١٢) محمد الخولي ، " من أحاديث القمر " ، ص ٢٩.

١٣) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان، ط٩، ٢٠٠٦ ، ص٢٧. ١٤) محمد الخولي، تراتيل على الخشب المقدّس، مصدر سابق، ص٣١.

١٥) محمد الخولي ، تراتيل على الخشب المقدّس ، مصدر سابق ، ص ٤٤.

١٦) محمد الخولي ، من أحاديث القمر ، ص ٣٣.

١٧) نفسه ، ص١١٧.

١٨) محمد الخولي ، من أحاديث القمر ، ص٣٠.

١٩) نفسه ، ص١١٩.

٢٠) محمد الخولي ، من أحاديث القمر ، ص٣٠.

[٢١]) نفسه ، ص١١٩.

[٢٢]) نفسه ، ص٧٩

٢٣) محمد الخولي ، من أحاديث القمر ، ص٢٩.

٢٤) كريمة يونسي، الإغتراب النّفسي وعلاقته بالتكيق الأكاديمي، لدى طلّاب الجامعة:دراسة ميدانيّة على عيّنة طلّاب جامعة مولود معمري بتيزي وزو، ٢٠١٢، الجزائر،(مخطوط ماجستير)، كلية الاداب والعلوم الإنسانيّة، ص٤٣.

٢٥) محمد الخولي، تراتيل على الخشب المقدّس ، ص ٥١

٢٦) محمد الخولي، تراتيل على الخشب المقدّس ، ص ٥١.

٢٧) محمد الخولي، تراتيل على الخشب المقدّس ، ص٥٢ .

٢٨) محمد الخولي، تراتيل على الخشب المقدس ، ص٥٢.

٢٩) نفسه ، ص٥٢.

٣٠) أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهيّة، تج: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت، ط١، ١٩٨١، ص٨١.

٣١) محمد الخولي، تراتيل على الخشب المقدّس،ص٥٣.

٣٢) نفسه، ص٥٣.

٣٣) محمد الخولي، تراتيل على الخشب المقدّس،ص٥٣.

٣٤) انظر: أشرف علي دعزوز، الغربة في الشّعر الأندلسي، عقب سقوط الخلافة، دار نهضة الشرق، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٢ ، ص ص ٢٣-٢٤.

٣٥) محمد الخولي ، تراتيل على الخشب المقدس، ص ٥٤.
٣٦) عبد الحقّ منصف، أبعاد التجربة الصوفية الحبّ، الانصات لحكاية إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، د ط، ٢٠٠٧ ، ص ٥٦.
٣٧) محمد الخولي، تراتيل على الخشب المقدس، ص ٥٤.
٣٨) ابن عربي ، الفتوحات المكيّة ، مرجع سابق، ص ٤٠٩.
٣٩) عبد الحقّ منصف، أبعاد التجربة الصوفية الحبّ، مرجع سابق ، ص ٥٦.
٤٠) محمد الخولي ، تراتيل على الخشب المقدّس ، ص ٥٤.

المصادر والمراجع

أ/ المصادر:

***القرآن الكريم**

ب/ الدّواوين:

١– محمّد عبد الله الخولي، ديوان الجنيّ والحلّاج ، دار الشّروق، القاهرة، مصر، ٢٠١٣، ط١ ،١٩١٣

٢– محمّد عبد الله الخولي ، ديوان تراتيل على الخشب المقدس ، روائع للنشر و التوزيع ، مصر ، ط١ ، يناير ٢٠١٥ .

٣– محمد عبد الله الخولي ، ديوان ، " من أحاديث القمر"، مركز الحضارة العربيّة، الجيزة، مصر، ط١، ٢٠١٨م.

ب/ المراجع:

١–أحمد عودة الله الشقيرات ، الاغتراب في شعر بدر شاكر الشيبان ، دار عمّار ، عمَّان ، الأردن ، ط١ ، ١٩٨٧ .

٢– أشرف علي دعزوز، الغربة في الشّعر الأندلسيّ، عقب سقوط الخلافة ، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٢ .

٣– ابن باجة، رسائل ابن باجة الإلهية، تح: ماجد فخري، بيروت،لبنان،١٩٦٧.

٤– تاج الدين ابن عطاء الله، لطائف المنن، في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن، تح: عبد الحليم محمود، دار المعارف، مصر، ط٣ ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م.

٥– حامد عبد السّلام زهران، الصّحة النفسيّة والعلاج النفسيّ، عالم الكتب، القاهرة، ط٠٣، ١٩٩٧.

٦– أبو الحسن، مسلم بن الحجّاج القشيري، النايسابوري، صحيح مسلم، دار المغني، الرياض، المملكة العربية السعوديّة، ١٩٩٨، ط١ ،د.ت.

٧- أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهيّة، تح: عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت ، ط١
٨- عبد الحقّ منصف، أبعاد التجربة الصوفية الحبّ ، الانصات لحكاية إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، د ط ، ٢٠٠٧ .
٩- عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط٩ ، ٢٠٠٦.
١٠- عزّ الدّين إسماعيل ، الشّعر العربي المعاصر، قضاياه و ظواهره الفنيّة و المعنويّة، دار الفكر العربيّ، بيروت، لبنان ، ط٣.
١١- ابن القيّم الجوزيّة، الغربة والغرباء، مكتبة طبريّة، الرياض، المملكة العربية السعوديّة ، ١٩٩٢ ، ط١ ، د.ت.
١٢- محيي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، تح : عثمان يحيى، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٦ ، د.ط .

ج/الرّسائل الجامعيّة:

١- كريمة يونسي، الإغتراب النّفسي وعلاقته بالتّكيّف الأكاديميّ، لدى طلّاب الجامعة:دراسة ميدانيّة على عيّنة طلّاب جامعة مولود معمري بتيزي وزو، ٢٠١٢، الجزائر، (مخطوط ماجستير)، كلية الاداب والعلوم الإنسانيّة.